دعائم التجارة وانحلّت عُراها. فاستولى الفقر على البلاد وضيق ذات اليد. فاذا كان ثمّ مدارس صناعيّة يتخرّج فيها ابناء الوطن على الطريقة الحديثة في الحرف والصنائع ينتفع حينئذٍ أربابها. فتزيد اموال البلاد فيدرّ فيها دولاب الاشغال فتتوسّع التجارة ويروج سوقها. فيرتاش السكّان ويستوفرون فيرتعون في بحابيح الرفاهة والرخاء. حقّق الله الأماني

مناظرة النارجيلة والغليون

قصيدة فكاهيّة للشاعر المطبوع بطرس كرامة

تولى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

النارجيلة ويُقال لها تاركيلة وزركيلة كالنارجيل وهي جوزة الهند أُفرغت من لبّها ولبّها ثمّ اتّخذت كآلة للتدخين بأن ثُقب لها ثقبان احدهما في رأسها تُجهّز لهُ مدخنة يُجعل فوقها تنباك اي تبغ فارسيّ وجمرة نار. والثقب الآخر في جانبها تُنفذ فيه قصبة لامتصاص الدخان. ويُجعل في الجوزة ماء ليمرّ به الدخان فيترطب قبل ان يبلغ فم المدخن. وتُسمع للماء قرقرة لتخلخل الهواء في الجوزة عندما يمتصّ الشارب الدخان

هذه صورة النارجيلة على طرزها الاول ثمّ استُبدلت جوزة الهند بزجاجة والقصبةُ بانبوبة مَرِنة يدعونها تاربيجًا او تاربيشًا ومعناها بالفارسية الحيّة الفارغة

وتفنّن المحدثون في تزويق النارجيلة وادواتها لاسيما المدخنة المعروفة بالقَلَب فان الصاغة تأنقوا في صنعها واهل الاستانة يتخذونها من النحاس الاصفر او النحاس المموّه بالفضّة وربّما جعلهُ الاغنياء من الفضّة الخالصة. وقد اشتهر الدمشقيون بصنع هذه القلوب من خشب المشمش وهم يرصّعونهُ بعروق اللؤلؤ والاسلاك المعدنيّة. وكان للامير بشير الشهابيّ عملةٌ برّزوا بحذقهم في هذه الصناعة منهم ناجي الرومي الذي توفي في بيروت قبل بضع سنوات وطنوس الهنود الذي لا يزال ابنهُ ملحم الى يومنا متقنًا لمثل هذه الاعمال بارعًا فيها

اما الغليون وبالفارسيّة غاليان فهو انبوب التدخين يؤخذ من اغصان الشجر كالياسمين والورد وغيرها ويدعوهُ العامّة ماسورة يتّصل برأسٍ يُجعل فيه التبغ العاديّ

ولم نجد في وصف النارجيلة والغليون احسن من ابيات للشاعر الشهير بطرس كرامة فاحببنا اثباتها في صفحات مجلّتنا تفكهةً لخواطر القرّاء. وهي مناظرة كتبها هذا الشاعر للامير بشير هذه ابياتها:

وجاريةٍ لطهماز (١ ربيَّهْ مهذَّبةِ الطبيعة اعجميَّهْ
شُغفتُ بها زمانًا ثمّ عادت بهجراني لها كالاجنبيَّهْ
وفي ماسورة (٢ الدخان اضحى فؤادي هائمًا صافي الطويَّهْ
وهمتُ بها وهامت بي وكنّا اذا ما سرتُ سرنا بالسويَّهْ
ولمّا قلّ دخّاني وتبغي وفرّغنا الجراب مع الحبيهْ (٣
شكت جوعًا وحنّت نحو قوتٍ وامست ذات بُعدٍ متكيَّهْ
اذكّرها المودّةَ وهي غضبى وازجرُها فتنفر بي ابيَّهْ
فقامت تلك (٤ لمّا ان رأتني بلا تبغٍ وفرّت كالظبيَّهْ (٥
وقد شتمت وقالت بافتخارٍ انا الخَوْد المزخرفةُ الشهيَّهْ
ولي خلقٌ يجود بكلّ شعرٍ ولي نغمٌ حكى الناييَ الشجيَّهْ
ورأسي مُذهبٌ مملوٌ تبرًا من التبّاك والنار المضيَّهْ
وقدّي اهيفٌ رطبٌ كأنّي جُبلت من الندى بيدٍ ندّيهْ
انا النركيلةُ الحسناء نطقًا أنادمُ كلَّ ذي شيمٍ ذكيَّهْ
نشأتُ بحجر طهمازٍ كأنّي فتاة ذات حسن فارسيَّهْ
ولا اشكو الطعام كما شكتهُ صباحًا ضرّتي (٦ الحرسا الدنيَّهْ
وباتت من فروغ القوت تبكي واضحت بالزوايا منزويَّهْ
ولمّا قلّ عنها التبغ هبّت الى ماسورةٍ تبغي المنيّهْ
فكيف بدلتني وبدلتَ حبّي ولذاتي بصدري مختبيَّهْ
وكم نادمتني ليلًا طويلًا سررتك في الصباح وفي العشيَّهْ

---

١) طهماز اسم رجل من العجم يُنسب اليه وضع النارجيلة
٢) الماسورة القضيب ثمّ استعملت عند العامّة لانبوبة الغليون وهي من السريانية هَاصُونَا
٣) اراد بالحبيّة المكان الذي يخبأ التبغ فيه ٤) اي النارجيلة
٥) اراد الظبية فشدّد للضرورة ٦) ضرّة المرأة شريكتها في الزوج

وكم اسمعتك الآلاتِ طرًّا بانغامٍ وألحانٍ شجيَّهْ
فلا تغفل فديتُك عن عهودٍ عقدناها بساعاتٍ بهيَّهْ

فلمَّا وعت لها الماسورُ نطقًا تاظَّى قلبها بلظى الحميَّهْ
ونادتها كفى يا نارجيلُ الى كم ذا التطاول يا زريَّهْ
انا الحسناء ذات اللين قدًّا انيسة كلّ ذي رتبٍ عليَّهْ
أجالس كلّ ذي فضلٍ وجيهٍ بآدابٍ واسرار خفيَّهْ
ألازم خدمة المولى (١ بانسٍ وانت بكلّ وقت في بليَّهْ
اراكِ في يدَي زيدٍ وعمروٍ فلستِ بالمناصحة الوفيَّهْ
وان كنتِ لدى مولاك حينًا تناقلك الضيوفُ مع الرعيَّهْ (٢
وان غبتِ تكلَّف ان ينادي عليك بجلّق او في ثنيَّهْ
ولمَّا ان تدنَّستِ بخبثٍ تاظَّت فوقك النار القويَّهْ
تنادينَ الحريق بكلّ صوتٍ يفوغر مثل ريح صرصريَّهْ
سلي نخُولَ عن حسني وطهري ونسألُ عن مزاياكِ عطيَّهْ (٣
فكم قد بربرت شفتاهُ حقدًا وناداكِ هامي يا شقيَّهْ
وكم يدعو لطهازٍ بسُمٍّ وحرقٍ حيث ابدع ذا البليَّهْ
زعمتِ بانني في ذات فقرٍ وما عندي دخان يا جفيَّهْ
فاني من ندى واحات شهمٍ بشير المجد والعليا غنيَّهْ
وان يكُ فيهِ مدحي باختصارٍ فقد فاحت عطاياهُ السنيَّهْ
ادام الله نعمتهُ بسعدٍ وخلَّد عزَّ دولتهِ الزهيَّهْ
ووافاهُ الالهُ بطول عمرٍ وأيَّدهُ بساعدهِ القويَّهْ

وقال ايضًا المعلم بطرس في النارجيلة:

يا حسنها نَرْجيلةً راقت لنا لذَّاتُها
لعب الهوى بفؤادها فتصاعدت نفثاتها

١) المولى هنا الامير بشير الشهابي. وكان النليون سابقًا يرافق الامراء في كلّ اسفارهم يحملهُ لهم بعض حاشيتهم ٢) يشير الى تناقل النارجيلة من يدٍ الى أخرى في النوادي
٣) نخُول وعطيَّة خادمان للامير بشير وكان نخُول حامل نليونهِ وعطيَّة حامل نارجيلتهُ